ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله
وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله
فيطبع الله على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم الاية **الاطلاق الثاني** ان يراد به
التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن حين
يزني واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة
الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه يؤثر فيه **الاطلاق الثالث**
ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة
وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا يشك فيه تختلف طما
نينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من واحد كطمانينتها الى ان العالم
مصنوع حادث وان كان لا يشك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح و
درجات طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب
علماء الاخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان
ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي
بعض المواضع في خبر اخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب لا
يختلف **مسئلة** فان قيل ما وجه قول السلف انا مؤمنون ان شاء الله والاستثناء شك والشك يتفاوت
في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال سفيان
الثوري من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون
كاذبا وهو يعلم انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه
وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا وحزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل
للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان الثوري
ذلك قيل له فماذا تقول قال قولوا امنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان يقولوا امنا
وبين ان تقولوا انا مؤمنون وقيل للحسن امؤمن انت قال ان شاء الله فقيل له لم تستثني يا با
سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان
وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله سبحانه وتعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال
اذهب لا قبلت لك عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابراهيم اذا قيل لك امؤمن انت
فقل لا اله الا الله ومن قال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وقيل لعلقمة
امؤمن انت فقال ارجو ان شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه
ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب ان هذا الاستثناء
صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او
كماله ووجهان لا يستندان الى الشك **الوجه الاول** لا يستند الى الشك الاحتراز
من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال الم تر الى الذين

يزكون

يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال
ثناء المرء على نفسه والايمان من اعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة
الاستثناء كانها نقل من عرف الى التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر
فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه
فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر
وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن استثناؤه **الوجه الثاني**
التادب بذكر الله في كل حال واحالة الامور كلها الى مشيئة الله تعالى فقد ادب الله
سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله ثم لم يقتصر في ذلك على ما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين محلقين وكان الله عالما بانهم يدخلون لا محالة وانه شاء ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما
دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير
مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه
حتى صارت بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت
سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك فيه واذا قيل فلان سيزول مرضه
ويصح فيقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك الى معنى
الرغبة فكذلك العدول الى معنى التادب بذكر الله كيف ما كان الامر **الوجه الثالث**
ومستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله تعالى اذ قال الله سبحانه وتعالى لقوم مخصوصين با
عيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين فيرجع هذا الى الشك في كمال الايمان
لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من و
جهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والثاني
انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال اما العمل قال الله تعالى الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا الاية فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من امن بالله
واليوم الاخر فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال اولئك الذين
صدقوا وقد قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الاية وقال تعالى هم درجات عند ربهم
وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع
وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان
بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم
اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب

Copyright © King Saud University